

النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١ - ١٩١٤

المدرس المساعد
آراء جميل العكيلي

المقدمة:

ظهرت دراسات عدّة تبنت البحث في ثنايا التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام لكن ما نال المجال التعليمي من نشأة وتطور لم يحظى بدراسات توازي أهمية هذا الموضوع، ومن هنا جاءت هذه الدراسة التاريخية بهدف التعرف على النهضة التعليمية التي رسمت ملامح التطور الفكري في منطقة بلاد الشام، والتي منها انطلقت لتباري الامم الاخرى في هذا المجال.

كان اختيار عام (١٨٣١) بداية لفترة الدراسة انما يعود لكونها تمثل بداية لعهد الادارة المصرية في حكم بلاد الشام وفيه تمكنت الحكومة المصرية من اخراج التعليم من طابعه التقليدي إلى طابع أكثر علمية عن طريق انشاء المدارس وتحديث مناهجها الدراسية، وبعث نهضة علمية وثقافية حديثة افتقرت لها البلاد الشامية طيلة العهود السابقة، وبالرغم من سرعة انتهاء الحكم المصري لبلاد الشام في عام (١٨٤٠) إلا انها تركت في البلاد حافزاً قوياً للحكومة العثمانية بعد عودة الحكم العثماني اليها في تأسيس المدارس الحديثة وكان هذا

التوسع في انشاء المدارس الحديثة قد وضع اساسه قانون المعارف وقوانين
الاصلاح المعروفة ((بالتنظيمات)) التي فتحت الباب امام البعثات التبشيرية
الأجنبية ليبدأ نشاطها الذي اسهم في ردف النهضة التعليمية بالمنطقة.

تتألف هذه الدراسة من ثلاث محاور أُتبعت بخاتمة ، تناول المحور الأول
انبعاث النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الحكم المصري للفترة الممتدة بين
(١٨٣١-١٨٤٠).

أما المحور الثاني فقد تطرق إلى الاهتمام الذي أبتدته الدولة العثمانية في
بلاد الشام بعد عودة الحكم العثماني لها للفترة الممتدة ما بين (١٨٤٠-١٩١٤).
وتعرض المحور الثالث لدور الإرساليات التبشيرية الاجنبية في نشر
التعليم ببلاد الشام حتى عام ١٩١٤.

وختاماً عسى أن أكون قد وفقت في الاقتراب من الهدف الذي اطمح اليه
من هذه الدراسة، وان يكن دافعاً لطلبنا الاعزاء في دراسة هكذا جوانب.

المحور الأول/ انبعاث النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال عهد الادارة

المصرية (١٨٣١-١٨٤٠)

بلاد الشام اصطلاح جغرافي اطلق على البلاد العربية الشامية الممتدة من جبال طوروس شمالاً إلى خليج العقبة جنوباً، ومن حدود العراق شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً^(١)، ولم يتحول إلى وحدة سياسية. سقطت حكومتها المملوكية بسهولة على يد السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) بعد معركة مرج دابق، واستقرت بعد ذلك التقسيمات الادارية في بلاد الشام على أربع ولايات هي حلب ودمشق وطرابلس وصيدا - بيروت ولم يظهر في هذه الولايات الحكم الوراثي رغم بروز عائلات قدمت عدداً من الولاة خلال فترة محددة^(٢). وأُتسمت بلاد الشام بوجود حشد كبير من مختلف الطوائف والمذاهب^(٣).

كما امتازت بلاد الشام بتنوع سكانها عنصرياً ولغوياً ودينياً فقد كان السواد الاعظم منهم من اصول عربية إلى جانبهم اقلية متنوعة من الاكراد، والشراكسة، والارمن وغيرهم، وكان منهم المسلمون السنيون، والنصارى، واليهود الذين اختلف توزيعهم في البلاد، ففي الوقت الذي سكن فيه المسلمون السنيون

(١) عبد الكريم محمود غرابية، تاريخ العرب الحديث، مطبعة الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤، ص ٥٠.

(٢) عبد العزيز محمد عوض، الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤-١٩١٤، دار المعارف، مصر، ص ٢٨٨.

(٣) محمد بديع شريف وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، جامعة الدول العربية، الادارة الثقافية، مصر، د.ت، ص ٣٧٧.

والاكرد والارمن في المدينة، سكن العلويين والدروز في المناطق الجبلية، أما غالبية النصارى فكان مكان تواجدهم في حلب وبيروت.

كان لهذا التنوع اثره الكبير في عدم تكوين وحدة ادارية لهذه البلاد في العهد العثماني أو في غيرها من العهود السابقة لذلك اتسمت بلاد الشام بكثرة خصوماتها المحلية والنعرات الاقليمية^(١).

أما رعاية الدولة العثمانية من غير المسلمين فقد كانوا يخضعون لنظام خاص اطلق عليه اسم ((نظام الملل) وهو نظام يرعى شؤونهم الدينية، ويفصل في قضاياهم الشخصية ولم تكن بموجب هذا النظام تتدخل في أي شأن من شؤونهم، وكانت تعتبر الرؤساء الدينيين لكل طائفة غير مسلمة مسؤولين عن شؤون تلك الطائفة^(٢).

وكانت الادارة العثمانية في بلاد الشام ادارة سطحية وامتداد لانظمة الحكم المملوكي السابق لها، إذ لم تقم بأي تغيير أو تحديث على تلك الانظمة، مما جعلها غير قادرة على أحتواء حالة الفوضى والاضطراب في البلاد فأخذ الاهالي يتطلعون نحو ادارة اكثر تنظيماً تحقق لهم طموحهم في الأمن والاستقرار^(٣).

(١) عبد الكريم محمود غرابية، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦، دار الجيل للطباعة، مصر، ١٩٦١، ص ١٦.

(٢) زياد ابو غنيمه، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٣، ص ٨٥.

(٣) محمد أنيس، تاريخ الدولة العثمانية في المشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د. ت، ص ٢٢٢.

في هذه الفترة التاريخية لم يكن من مهام الحكومة العثمانية الأنفاق على التعليم، إذ لم يكن ذلك ضمن فلسفة وظائفها كدولة، فتركت الاهتمام به لكل طائفة تقوم به حسبما ترى، ويضع المحسنون الأوقاف على التعليم بغية اكتساب الاجر والثواب الحسن في الآخرة، لذا كان التعليم دينياً، أما السلاطين فقد كانوا ينشئون بعض المدارس التي لا تختلف عن مثيلاتها سوى في الحجم، نتيجة للأوقاف المرصودة عليها، وهم يقومون بذلك بصفتهم الشخصية وليس بوصفهم سلاطين، أما المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة بالشام في العصر العثماني وحتى بدايات القرن التاسع عشر فيمكن تقسيمها إلى:

- ١- الكتاتيب الملحقة بالزوايا والمساجد والأديرة، وهي تقدم مبادئ القراءة والكتابة، وبعض مبادئ الحساب، وتعد في غالبيتها من النوع البسيط، الذي لا يؤهل صاحبها لأكثر من الإلمام بمبادئ القراءة والكتابة.
- ٢- المدارس الملحقة بالمساجد الكبرى، إذ يقوم المشايخ بتدريس علم النحو والصرف، وعلم الكلام، وعلم الحديث، والتشريع الاسلامي، مثل الجامع الأموي في دمشق، ومن أراد الأستزادة من العلوم الدينية فليس أمامه الاشد الرحال للأزهر الشريف في القاهرة^(١).

وبذلك يكون التعليم في بلاد الشام تعليمياً دينياً حراً يبدأ في المنزل على يد مرب أو شيخ، أما في المدن فكان التلاميذ يتلقون العلم في المساجد، وكانت مرتبات شيوخ المدارس قليلة لا تتجاوز (٢٠) بارة في الاسبوع عن كل تلميذ، ولم

(١) عبد الرازق عبد الرازق عيسى، التصدير الأمريكي في بلاد الشام ١٨٣٤-١٩١٤، ط١، مكتبة مدبولي، مصر، ٢٠٠٥، ص١٠٧.

يكن هنالك نظام للتفتيش على اسلوب الفقهاء في التعاليم أو مراقبته، وانما كانت
المراقبة مقصورة على الناحية المالية (١)

كانت بلاد الشام ذات أهمية اقتصادية لمحمد علي (*)، خصوصاً بعد أن وجد
نفسه يمتلك كل خيرات مصر المتزايدة ولديه جيوش قوية إذ أمتدت احلامه لضم
بلاد الشام اليه، مستغلاً ضعف السلطنة فتحررت الحملة بقيادة ابنه وقائده
العسكرية الأول ابراهيم باشا وأخر تشرين الأول عام ١٨٣١ فاستولى على غزة
ويافا وبقية الساحل الشامي، ثم سقطت عكا وأخر ايار عام ١٨٣٢ بعد حصار
دام ستة اشهر ثم دخل دمشق وهزم القوات العثمانية عند حمص بمساعدة جيوش

(١) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٢٥٢.

(* محمد علي (١٧٦٩-١٨٤٩): ولد محمد علي الالباني الاصل عام ١٧٦٩ من ابوين
متواضعين في مدينة كافاله باقليم مكدونيا، توفي ابوه عندما كان صغيراً في السن فكفله
عمه، تربي أمياً، خدم الدولة العثمانية كجائياً للضرائب، قدم إلى مصر على رأس حملة
صغيرة تتكون من (٣٠٠ رجل) لمحاربة الفرنسيين في مصر، فرقي بسرعة فائقة لدرجة
انه بعد سنتين وجد نفسه في قيادة أقوى الفرق المحاربة في مصر وبفضل الارادة الشعبية
استطاع الوصول إلى منصب والي في مصر عام ١٨٠٥، ويعد محمد علي باشا منشئ
دولة مصر الحديثة ومؤسس الاسرة الخديوية في مصر توفي عام ١٨٤٩م:

للمزيد من التفاصيل انظر: ناصر الانصاري، موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم مع
صورهم ورموزهم، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٢٠، بشرى ناصر هاشم
الساعدي، الادارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠)، رسالة ماجستير غير منشورة،
كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣، ص١٤.

حليفه الامير بشير الشهابي (*) واستولى على حماه وحلب، ثم اجتازت الحملة حدود سوريا الشمالية واحتلت الولايات التركية (١).

(*) الأمير بشير الشهابي الكبير الذي ولد في وادي اليتيم في لبنان عام ١٧٦٧، واعتنق والده قاسم المسيحية وقد عمده وما أن بلغ بشير السادسة عشر من عمره قصد دير القمر، ونزل في بيت الدين بالقرب من الدير في منزل الشيخ ((أبو علي البتديني)) الذي كان شيخ مجلس ((خلوة)) محترماً ومحبوباً من الأهالي، وهكذا ساعدت الظروف بشير، وذلك حينما اتفق دروز لبنان - الذين كانوا يشكلون الفئة الكبرى من سكانها - على انزال الامير يوسف الشهابي عن حكم الجبل واستدعاء بشير الشهابي واخبروه على ما اجمعوا عليه من توليته امارة جبل لبنان، ومنحوه المال والرجال ولم تستتب الامور للشهابي إلا بعد أن أعدم يوسف الشهابي في عكا عام ١٧٩٠، وقد انجاز الامير بشير إلى جانب باشا عكا عبد الله في حربه ضد باشا دمشق درويش الذي حاصر عكا بمساعدة مصطفى باشا والي حلب، وكان الباب العالي قد اعلن تأييده لهذين الأخيرين، فرأى بشير الشهابي استرضاء الدولة العثمانية بدلاً من محاربتها فتوجه إلى الديار المصرية عام ١٨٢١ ليتوسط لوالي عكا فوافقت الدولة العثمانية على الوساطة، وقد استطاع محمد علي باشا كسب تأييد الامير بشير في مشاريعه بضم بلاد الشام تحت لوائه لذا تيسرت مهمة القوات المصرية المتوجهة إلى بلاد الشام عام ١٨٣١ بفضل المساعدة التي قدمها اللبنانيين الذين اشتركوا في المعارك التي خاضوها للسيطرة على عكا وطرابلس ودمشق وسمحوا لهم باتخاذ منطقة زحلة، كمستودع لذخيرهم وبقي الامير بشير محتفظاً بمكانته وهيبته طيلة عهد الحكم المصري لبلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠): للمزيد من التفاصيل انظر:

بشرى ناصر هاشم الساعدي، جبل لبنان في عهد الامير بشير الشهابي الثاني الكبير (١٧٨٨-١٨٤٠)، مجلة الدراسات التاريخية، الجامعة المستنصرية، العدد ٨، ٢٠١٠، ص ٤٨٥-٤٨٨، جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، ط٢، مؤسسة بدران وشركاه، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٧٢-٣٧٤.

(١) سيف الدين الكاتب، اطلس تاريخ الحضارات، ج٣، ط٣، دار الشرق العربي، ٢٠٠٩، ص ١١٣.

كانت حسنات الحكم المصري لبلاد الشام اكثر من سيئاته، إذ حاول هذا الحكم أن يفرض قدراً من العدل وان يرفع بعضاً من الظلم والحيث الذي طغى على الادارة السياسية العثمانية في بلاد الشام، فكفت ايدي المشايخ والأمراء المستبدين، ووضع نظام للجباية واصول الإدارة وأرسيت قواعد العدل بين الطوائف، واعتني بالشؤون الصحية والزراعية ومع قدوم الادارة المصرية تغيرت الحال التعليمية والثقافية تغيراً كبيراً إذ جاءت حاملة للافكار التقدمية والنهضة الكبيرة التي أوجدها محمد علي باشا في مصر، والتي كانت بوحى وبتأثير عميق من الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ وما تركته وراءها من أدوات ثقافية مختلفة ومازرعته في مصر من بذور حضارية بدأت تثمر خلال السنوات التي اعقبت الحملة الفرنسية^(١). فقد عني محمد علي باشا بالعلم والتعليم في بلاد الشام منذ عام ١٨٣٢، حينما احوجته الظروف لعدد اكثر من القوات النظامية والتي حاول الحصول عليها من الشام، وبموجب أوامر محمد علي باشا إلى محمد منيب أفندي ((كتخدا ابراهيم باشا في عكا)) لارسال اولاد من بلاد الشام إلى مصر، بعث محمد منيب أفندي كشافاً بأسماء مئة واثنين من هؤلاء الاولاد للاحاقهم بالدراسة في القاهرة والأعتناء بهم، واختيار المناسب منهم، ونظراً لانشغال ابراهيم باشا خلال السنوات الاولى من فتحه الشام بتأمين انتصاراته العسكرية في البلاد وقيامه بعدد من الاصلاحات تمهيداً لوضع البلاد على عتبة

(١) شاعر النابلسي، عصر التكايا والرعايا وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٨)، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص٤١٦.

التحديث، على غرار ما جرى عليه الحال في مصر إذ اهتم بالمحافظة على استتباب الامن والنظام لذا تأخرت الادارة المصرية في تنظم شؤون التعليم في بلاد الشام حتى عام ١٨٤٣^(١).

ومن الملاحظ ونحن في صدد دراسة التعليم في بلاد الشام خلال الادارة المصرية بانعدام وجود أي نشاط علمي قبل الحكم المصري في بلاد الشام إذ أن الظروف التي مرت بها اثرت في هذا المجال بالرغم من أن بلاد الشام لها تاريخها في النهضة العلمية ولكن مع الحكم العثماني الذي صاحبه التأخر انعكس الامر على التعليم، فخرّبت المدارس القديمة وتداعت المساجد والجوامع، ولم يبق إلا شذرات بسيطة من الغيورين على الإسلام في العمل على تحفيظ القرآن الكريم^(٢).

تغيرت الحالة التعليمية والثقافية مع قدوم الحكم المصري الذي جاء حاملاً الافكار التقدمية والنهضة الكبيرة التي أوجدها في مصر لينقلها إلى الشام في اطار البرنامج الجديد الذي أعده وشمل جميع اوجه ومظاهر المدينة، وعلى ذلك اتجه النشاط إلى مجال التعليم وان كان اقل حظاً من باقي المجالات إلا انه اعتبر ركيزة قوية اعتمدت عليها الشام في نهضتها العلمية الحديثة^(٣).

(١) علي شاكور علي، المشروع النهضوي العربي والغرب تجربة محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٠) مجلة آفاق عربية، العدد التاسع، السنة ١٨، بغداد، ١٩٩٣، ص ٢٣.

(٢) صلاح احمد هريدي، دراسات في تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠٠٨، ص ٤٨٨.

(٣) صلاح احمد هريدي، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

أبقت الإدارة المصرية على التعليم الديني الذي كان متبعاً على عهد الإدارة العثمانية، والذي كانت تدعمه المؤسسات التابعة للمسلمين والطوائف الدينية الأخرى، وحرصت على تعميم المدارس الأولية (الكتاتيب) في مختلف أنحاء البلاد، لتعليم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم^(١)، وانتشرت في الأخطاط والمساجد والزوايا، وقام الائمة بالتدريس فيها.

ومنذ عام ١٨٣٥ وضعت خطة خاصة بإنشاء مدارس حكومية في المدن الرئيسية وفقاً للنظام المتبع في مصر^(٢). وذلك عندما وجد أن معظم المجندين في بلاد الشام غير متعلمين، فخطط لمعالجة هذا الأمر عن طريق إنشاء مدارس لتخريج ضباط محليين متعلمين، وأنتدب الميرلاي مختار بك (ناظر المحاسبة) لفتح المدارس في الشام^(٣)، ولم يكن هدف ابراهيم باشا من نشر التعليم لذاته فحسب بل أراد اتخاذه وسيلة لخدمة اهدافه السياسية ومطالبة العسكرية حتى انه حرصه هذا فاق حرص ابيه على ذلك في مدارس مصر، واستقدم مربيّاً فرنسيّاً ذا مكانة مرموقة كان يعمل مع والده، من اجل أن يقدم له النصيح فيما يتبع من اساليب لتحقيق اغراضه، واراد كذلك أن يهيئ لشباب البلاد تعليماً خاصاً يعدهم

(١) جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٠٣.

(٢) صلاح احمد هريدي، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٣) بشرى ناصر هاشم الساعدي، الادارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠)، المصدر السابق، ص ١٣١.

للخدمة العسكرية^(١)، فعملت الادارة المصرية على اعداد الشباب للاغراض الحربية وفقاً لنظام المدارس الليسية النابليونية ولكنها وجدت في بعض الاحيان العوائق، ذلك أن اهالي الشام كانوا كارهين للعثمانيين وللانكشارية السلطانية وللانكشارية المحلية وللخدمة العسكرية (الجهادية) فلم يقبلوا على مثل هذه المدارس كثيراً، بل خبأوا أولادهم خشية الالتحاق بهذه المدارس ثم الاشتراك في الحروب المجانية التي كان يقودها الباب العالي في أوروبا الشرقية من حين لآخر لمنافع السلطان والغلمان والنسوان والمؤسسة الدينية والانكشارية ورغم هذا فقد تم انشاء عدد من المدارس العسكرية ((الجهادية)) على الطراز النابليوني^(٢). وعلى ذلك الاساس أنشئت مدرسة نظامية في دمشق يتعلم فيها الطلاب اللغة التركية ويتدربون عسكرياً بالإضافة إلى تمرينهم بعض الحرف التي تخدم الميدان الحربي ومعظم الطلبة من المدن ومنهم من القرى المجاورة وأزداد الاقبال على تلك المدرسة وتوافرت الطلبات بشأن الالتحاق بها واعلنت الرغبة أن يتعلموا ويدرسوا الفنون الحربية^(٣). وبلغ عدد طلابها نحو ٦٠٠ طالب^(٤).

(١) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٢) شاکر النابلسي، المصدر السابق، ص ٤١٨، صلاح أحمد هريدي، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٣) صلاح أحمد هويدي، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٤) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية (بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي باشا الكبير، المجلد الثاني، المطبعة الامريكية، بيروت، ١٩٤٣، ص ١٦٨.

أما مدرسة حلب النظامية، فقد جمعت ما بين النظامين الخارجي والداخلي، ويتلقى فيها الطلبة اللغات العربية والتركية والفارسية وآدابها والرياضيات والتاريخ بالإضافة إلى التدريبات العسكرية ويعطى الطالب لقب أفندي، وعلى نفس النظام كانت مدرسة انطاكية^(١). وبلغ عدد طلابها نحو ٣٠٠ طالب^(٢).

ومما يذكر أن لحلب نشاطها في الميدان التعليمي فقد أسس اسماعيل بك حاكمها مدرسة عام ١٨٣٩ سميت (الاسماعيلية) وأوقف عليها الاموال وجعل فيها مكتبة، كما أضاف إلى جامع ((القرناضية)) مدرسة، وأختصت بالعلوم الفقهية وأرسل ابراهيم يطلب من مصر المدرسين وأصحاب الدراية والكفاءة خاصة في علم الحساب والنحو، وفي دائرة البرنامج أعدت دورات تعليمية لفرق الجيش لتعليم القوت القراءة والكتابة الزامياً^(٣).

كانت هذه المدارس من نوع المدارس الداخلية، ذات الاهداف العسكرية البحتة، والتي تسمى بمدارس الجهادية، أو مدارس النظام. وكانت الغاية من انشاء مثل هذه المدارس، لامداد الجيش والادارة بالملاكات التي تحتاجها، وتضمنت مناهج الدروس فيها مبادئ التحصين الاولية، كمهاجمة الحصون والدفاع عنها، والطبوغرافية، ورسم الخطط، واستخدام السلاح، وما إلى غير ذلك من المعارف العسكرية، فضلاً عن دراستهم لأصول النحو والصرف، واللغة

(١) صلاح أحمد هويدي، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٢) أسد رستم، المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٣) صلاح أحمد هريدي، المصدر السابق، ص ٤٩٠.

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١-١٩١٤

الفارسية، والتركية، ومبادئ الحساب^(١)، وكان طلاب هذه المدارس يرتدون ملابس موحدة ويتدربون على الفنون العسكرية^(٢).

وكانت المدرسة التي اسستها زوجة أيلي سمث أول مدرسة في بلاد الشام اقيم لها بناء خاص لتكون مدرسة للبنات^(٣).

ووضعت الإدارة المصرية لكل مدرسة مشرفاً يشرف على يشرف على شؤون الطلبة وعينت ثمانية عشر مدرساً تصل مرتباتهم الشهرية ما بين ٢٥٠-٣٥٠ قرشاً أما إدارة هذه المدارس فكان يرأسها ناظر ((مدير)) يدير أمورهما ويتقاضى راتباً شهرياً لسد احتياجاتها محلياً من أموال الميري، وفي حالة عدم توفر بعض المواد الضرورية لها في الشام تلجأ الإدارة إلى دار الجهادية بمصر لتزويدها بالكتب والخيول وغيرها^(٤).

وانصب اهتمام الإدارة المصرية بإرسال الطلبة المتفوقين في بعثات علمية إلى القاهرة لدراسة الطب والهندسة والزراعة من اجل سد حاجة البلاد من هذه الاختصاصات^(٥).

(١) بشرى ناصر هاشم الساعدي، الإدارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠)، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٢) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٤) بشرى ناصر هاشم الساعدي، الإدارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠)، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٥) أمين عبد الله محمود، الإدارة المصرية في بلاد الشام وبداية ظهور المسألة الفلسطينية (١٨٣١-١٨٤٠)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٣٢، الكويت، ١٩٨٨، ص ١٢١.

وأنشأت الإدارة المصرية تنفيذاً لأوامر مجلس شورى الأطباء في القاهرة مدرسة للطب في القاهرة، مدرسة للطب في حلب وأخرى في الإسكندرية عام ١٨٣٧ لتكون مركزاً لامتحانات الطب في حلب والمناطق المجاورة لها من أجل التعليم العملي للتلاميذ الذين يتركون مدرسة أبي زعبل^(١).

وكانت ندرة الكتب عاملاً من عوامل تأخر التطور الثقافي، فالمطابع العربية وان كانت قد ظهرت خلال القرن الثامن عشر مطابع يدوية قليلة في الأديرة، غير أن ما تطبعه كان ضئيلاً جداً ولا يكاد يتعدى كتب العبادات، وتغير الأمر في مطلع القرن التاسع عشر بتأسيس مطبعة عربية في القسطنطينية سنة ١٨١٦ وأخرى في القاهرة سنة ١٨٢٢ وطبعت كلتاها كتباً أدبية وعلمية باللغة العربية ووصل بعض هذه الكتب بلاد الشام ولكن عددها كان قليلاً^(٢).
وبعد أن سيطرت الإدارة المصرية على الشام جلب إبراهيم باشا معه مطبعة حجرية كرسها لطباعة المنشورات والأوراق العسكرية والتي لفتت أنظار أهالي الشام ونبهتهم إلى مدى أهمية الطباعة^(٣).

(١) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٢٨٢.

(٢) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٣) يوسف جميل نعيمة، مجتمع مدينة دمشق (١٧٧٢-١٨٤٠)، ج ٢، ط ١، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٦، ص ٣٩٨.

وفي البداية استحسن مجلس شورى حلب أن ترسل لمدينته مطبعة بأجهزتها وأدواتها لتطبع فيها الكتب المحتاج إليها لكن اتفق رأي المسؤولين على تحديد نوع الكتب المطلوبة وعددها لتطبع بالمطبعة العامة بمصر، وذلك لعدم وجود العمال المهنيين في هذا المجال واقتصار أمر الطباعة على المطبعة الرسمية المصاحبة لإبراهيم باشا التي تطبع فيها أخبار اليوم، وعليه وردت من حلب ودمشق واللاذقية وطرابلس ويافا وغزة قوائم الكتب لاصدار الامر إلى ديوان المدارس بالقاهرة لارسالها إلى الموانئ المذكورة لتوزيعها، وشملت مختلف فروع العلوم، والاداب، والطب البشري، والبيطري، والرياضيات والطبيعة، الفسيولوجيا، الباثولوجيا، الهندسة، الزراعة، الصناعة، القواميس، الاديان، العلوم الفقهية، الفلسفة، المنطق، التاريخ ووجه الاهتمام بمعرفة ابن خلدون، ولكن هذه الكتب لم تلق مجالاً للانتشار سوى في المدارس ولدى بعض العائلات البرجوازية فلم يصل عامة الناس إلى الدرجة التي يفتنون فيها الكتب^(١).

وقامت الادارة المصرية بتشجيع مسؤوليها على شراء الكتب باقساط مؤجلة خصمت اسعارها من رواتبهم ولما نفذ ما وصل إلى الشام من هذه الكتب تم اعادة الطلب عليها ثانية فاعادت مطبعة بولاق طبعتها مرة اخرى ورغم الجهود الكبيرة التي بذلتها الادارة المصرية لرفد الشام بالكتب إلا أن اعدادها بقيت قليلة جداً، وقد ذكر الدكتور جون باورنج، وكان بالمرستون قد أوفده إلى الشام لدراسة

(١) صلاح احمد هريدي، المصدر السابق، ص ٤٩٠.

حالة البلاد في سنة ١٨٣٨ ((بأن الاقبال على شراء الكتب كان ضعيفاً جداً حتى انه لم يجد بائع كتب في دمشق ولا في حلب^(١)).
إلا أن هنالك مصادر تقول أن بلاد الشام لم تكن خالية من المكتبات العامة قبل الحملة المصرية بل أن بلاد الشام كان فيها من الكتب والمكتبات ما قد يكون اكثر مما في مصر في ذلك الوقت بسبب الحملات والإرساليات التبشيرية المسيحية^(*) التي كانت تتدفق عليها من جميع انحاء اوربا حاملة الكتب والمجلدات والاسفار في المعارف المختلفة، اضافة إلى حملات الاستشراق الثقافي والسياسي التي ازدهرت في القرن السابع والثامن عشر، ويذكر المؤرخ محمد الطباخ أن خمس دور للكتب انشئت في حلب في الفترة (١٧٨٤-١٧٨٥) منها المكتبة الاحمدية التي كانت تضم ثلاثة الاف مجلد وكذلك المكتبة الرضائية التي كانت تضم الف مجلد، وكانت اكبر مجموعات الكتب في دير ((ماريوحنا)) بالشويز اللبناني، والآخرى لدى أحمد باشا الجزائر، والثالثة في دير (المخلص) في لبنان، وكانت هنالك مكتبة عامة في دير (عين ورقة) في لبنان، كما كانت الاديرة والكنائس الاخرى تمتلئ بالكتب باللغة اللاتينية والسريانية والعربية^(٢).

(١) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٠١.

(*) سيتم الحديث عن الارساليات التبشيرية في هذا البحث لاحقاً.

(٢) شاكر النابلسي، المصدر السابق، ص ٤٢٠.

إلا أن ما كانت تفتقده هي الكتب العسكرية وذلك لعدم وجود مدارس عسكرية فيها، ولكره الناس للعسكرتاريا وعلومها وكتبها^(١). في الوقت نفسه اهتم ابراهيم باشا بتثقيف الجيش وعد مهمة تعليمه مسألة ضرورية للتقليل من حالات الفرار اثناء توقف الاعمال الحربية، وعدم تركهم عاطلين عن العمل، وذلك من خلال انشائه المدارس، فألزم جميع المؤهلين في القطاعات في كل حامية على تعلم القراءة والكتابة، كما أجبر ضباط الجيش على دراسة بعض العلوم الضرورية كالهندسة، وعلم المساحة ووضع قانون عدم ترقية الضباط ما لم يتعلموا القراءة والكتابة وفرض تعلم صنعة من الصناعات على كل من لديه القابلية على القراءة والكتابة^(٢). وكان لانشغال الادارة المصرية بتهدئة الاضطرابات واخماد الثورات التي تعرضت لها خلال فترة حكمها لبلاد الشام الاثر الكبير في عرقلة التطور الثقافي والتعليمي في الشام فضلا عن أنشغالها في مقاومة الدسائس وما كان يحاك ضد ادارتها من مؤامرات سواء كان ذلك في الداخل أو في الخارج^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

(٢) بشرى ناصر هاشم الساعدي، الإدارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠)، المصدر

السابق، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٧-١٣٨.

المحور الثاني/

اهتمام الدولة العثمانية بالمجال التعليمي في بلاد الشام بعد عودة الحكم

العثماني اليها للفترة ١٨٤٠-١٩١٤

شكلت اصلاحات محمد علي باشا في مصر حافزاً للحكومة العثمانية في تأسيس المدارس الحديثة في بلاد الشام بعد عودة الحكم العثماني اليها^(١). ويبدو أن رجال الفكر والحكم في الدولة العثمانية أخذوا يشعرون بالحاجة إلى نوع جديد من التعليم يختلف عن التعليم الديني في مبادئه واسسه ومواده، تعليماً يساير روح العصر واتجاهاته، ولهذا اصدر الباب العالي قانوناً في شهر اب عام ١٨٤٦ يتعلق باصلاح التعليم في الامبراطورية العثمانية، وبموجب هذا القانون أخذت الحكومة على عاتقها الاشراف على التعليم، بعد أن كان يشرف عليه العلماء من رجال الدين في كافة انحاء الامبراطورية^(٢)، كما نظمت المدارس في الدولة العثمانية بموجب نظام المعارف الصادر في ٢٤ جمادي الاولى ١٨٦٩، والذي صيغ في (١٩٨) مادة، وبموجب هذا النظام قسمت الدراسة إلى خمس مراحل:

١- المرحلة الابتدائية: نص نظام المعارف على وجوب وجود مدرسة ابتدائية في كل قرية أو على الأقل في كل قرينتين على أن يدفع اهل القرية نفقات انشاء المدرسة وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها، أما مناهج التعليم

(١) طلال العنبرسي، البعثات اليسوعية مهمة أعداد النخبة السياسية في لبنان، (دراسة وثائقية)، ط١، ١٩٨٧، ص٥١.

(٢) عائشة الدباغ، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢، ص١٠٥.

فكانت تتضمن العلوم الدينية (استظهار القرآن والتجويد)، والقراءة والكتابة باللغة التركية والحساب والعلوم والجغرافية والتاريخ ولا يتعلم التلميذ في هذه المرحلة اية لغة اجنبية على أن إلزامية التعليمي الابتدائي لم تكن اكثر من مجرد نظام اقتبس من الانظمة الغربية دون دراسة لامكانيات الدولة المالية، والدليل الحالة التعليمية المتخلفة في جميع الالوية وعجز ادارة المعارف عن فتح المدارس في المدن^(١).

٢- المدارس الرشدية: نص نظام المعارف على وجود مكتب رشدي واحد في كل بلد يتجاوز عدد سكانه (٥٠٠) بيت ويتحمل صندوق ادارة معارف الولاية جميع نفقات انشاء المدارس الرشدية، ومدة الدراسة في هذه المرحلة اربع سنوات^(٢)، وأخذت هذه المدارس بتدريس القواعد والنحو والصرف والخط والانشاء والمحفوظات والتاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة، إلى جانب اهتمامها بالدروس الدينية^(٣).

٣- المدارس الاعدادية، تؤسس في مراكز الاقضية أو الالوية التي يتجاوز عدد سكانها (١٠٠٠) بيت، ويدفع صندوق ادارة مصارف الولاية جميع

(١) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٣) عائشة الدباغ، المصدر السابق، ص ١٠٦.

نفقات انشاء هذه المدارس^(١)، ومدة الدراسة فيها تتراوح بين (٥-٧) سنوات^(٢).

- ٤- المدارس السلطانية: ويقبل بها الناجحون في امتحان المرحلة الاعدادية وتوجد فقط في مراكز الولايات ويشترط دفع التلاميذ رسوماً^(٣).
- ٥- المدارس العالية: وتشمل دار المعلمين ودار المعلمات ودار الفنون في استانبول ومكاتب الفنون والصنائع المختلفة، ويشترط في الطلاب المقبولين أن يكونوا قد اجتازوا بنجاح مراحل التعليم السابقة وحصلوا على شهادات الدراسة الرشدية والاعدادية والسلطانية^(٤).

عزز صدور قانون المعارف لعام ١٨٦٩ نشاط الحكومة ودارات المعارف في ولايات الشام والمتصرفيات الاخرى في تأسيس المدارس الحديثة كما ساعد تولي مدحت باشا السلطة في ولاية سوريا (١٨٧٩-١٨٨٠) من نشاط ادارة المعارف في التوسع بتأسيس المدارس الحديثة بالتعاون مع الاهالي والجمعيات الخيرية^(٥)، شكل جمعية من العلماء اخذت على عاتقها جمع الاعانات من المحسنين، واصلحت هذه الجمعية بعض المساجد، وحولتها إلى مدارس

(١) عبد العزيز عوض، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(٢) شاکر النابلسي، المصدر السابق، ص ٤٣٠.

(٣) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٥) جميل صليبا، محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب العربي،

القاهرة، ١٩٥٨، ص ص ٢٦٣-٢٦٤.

للاحداث، ولما كان أهالي الشام يميلون إلى بث روح التعليم فقد ألفوا جمعية سموها ((جمعية المقاصد الخيرية)) انتشرت فروعها في جميع انحاء الولاية ثم تأسست في العام نفسه وبنفس الاسم جمعيات اخرى في بلاد الشام كالقدس ودمشق وحمص وبيروت وغيرها^(١)، فأقيمت أول مدرسة اعدادية في القدس عام ١٨٨٩، واقامت مدرسة ثانية في عكا في العام ١٨٩٥، واقامت مدرسة ثالثة في نابلس في العام ١٨٩٧^(٢).

شعرت الحكومة التركية أيضاً بضرورة انشاء مدارس عسكرية يدرّب فيها التلاميذ حسب النظم الحديثة، وذلك اثر الانهزامات التي لحقت بها في حروبها مع الدول الاوربية فبادرت إلى انشاء مكاتب ((الاعداديات العسكرية)) والتي تساعد على تلقي الفنون العسكرية وثم أنشأوا المكاتب الرشدية ومهمتها اعداد الطلبة لتلقي الدروس في الاعداديات العسكرية^(٣).

أما المعاهد الملكية التي لا تتسم بسمة العسكرية فقد أنشئت بعد مثيلاتها العسكرية بمدة وهذه المعاهد انشئت لتكون مدارس اختصاصية تهدف إلى تخريج الموظفين الذين تحتاج اليهم مصالح الدولة المختلفة، ويعد عام ١٨٨٢ بداية أنشاء اول مكتب رشدي في حلب من قبل الحكومة العثمانية كما شيد المكتب

(١) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) شاكر النابلسي، المصدر السابق، ص ٤٣٠.

(٣) عائشة الدباغ، المصدر السابق، ص ١٠٦.

الاعدادي الذي أصبح يعرف بالمكتب السلطاني وقد افتتح عام ١٨٩٢^(١).

ومما يذكر أن جمعية المقاصد الخيرية استطاعت أن تنشئ في دمشق (٨) مدارس بلغ عدد تلاميذها نحو (١٢٠٠) تلميذ، كما أنشأت الجمعية مدرسة للبنات استوعبت (١٥٠) تلميذة، وكان الانفاق على هذه المدارس من تبرعات المحسنين^(٢).

ويذكر كرد علي في اصلاح المعارف العمومية أن الحكومة العثمانية ((لا تطلب من المدارس الابتدائية والثانوية إلا أن تخرج لها طبقة من الموظفين ملكيين وعسكريين يكونون أتراكاً بألسنتهم لا بقلوبهم عثمانيين بتربيتهم لا بأصولهم، وقد أخذ دعاة التتريك العناصر يقاومون لغة البلاد سراً فما هي إلا بضع سنين حتى أصبح معظم الدارسين في مدارس الحكومة يخرجون بعد درس عشر أو خمس عشرة سنة، وهم لا يحسنون لغتهم ولا لغة الدولة الرسمية فضلاً عن اللغة الافرنسية التي كان تعلمها إذ ذاك رسمياً في الظاهر سوريا في الحقيقة على مثل ما كانت اللغة العربية في مدارس الحكومة، وكان يندر بين من تخرجوا في هذه المدارس من يعاني الصناعات الحرة، بل أن معظمهم من أتموا الدروس في مدارس الحكومة العثمانية نشأوا اتكاليين مغرمين بالوظائف فقط))^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٢) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٣) كرد علي خطط ٨٢:٤، عن التقرير المؤرخ ٢٢ ت ٢، سنة ١٩٢٠: نقلاً عن عائشة الدباغ، المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.

وفي العقد الاخير من القرن التاسع عشر نشط اعضاء ادارات معارف ولايات الشام في تأسيس المدارس الحديثة بأنواعها ففي عام ١٨٨٨ تأسست اعدادية مدنية في دمشق، واخرى في مدينة حلب، وفي عام ١٨٨٩ أنشئت اعدادية في مدينة القدس ثم مدرسة في عكا عام ١٨٩٥ ورابعة في نابلس عام ١٨٩٧ بلغ عدد طلبتها (٦٢٠) طالباً، وكانت المدارس تضم صفوفاً للدراسة الابتدائية^(١).

وفي مجال التعليم المهني افتتحت الحكومة العثمانية مكتب الصنائع وكانت تدرس الصناعات المختلفة من نجارة وخياطة وعمل أحذية، ونسج أقمشة غزلية وجوارب وغيرها، ويدرب التلاميذ على ذلك عملياً^(٢).

أما المدارس الزراعية فقد افتتحت مدرسة زراعية في دمشق عام ١٨٨٩ لكنها تعرضت للاهمال فقل عدد طلابها، فاصبحت شعبة زراعية في المدرسة الاعداية^(٣).

وفي عام ١٨٨٣ بلغ عدد المدارس في بلاد الشام اكثر من ستمائة مدرسة في المدن وقراية ثمانمائة مدرسة في الريف، كانت تضم اكثر من ستين الف طالب وطالبة واكثر من الف معلم ومعلمة^(٤).

(١) ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ١٩٥٠ / ١٩٥١، ص ٧-٨.

(٢) عائشة الدباغ، المصدر السابق، ص ١١٢.

(٣) ليلي الصباغ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣، ص ٤١٤.

(٤) عبد الكريم محمود غرابية، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦، المصدر السابق، ص ١٦٤.

وأصدر السلطان عبد الحميد الثاني عام (١٩٠١) أمراً بإنشاء مدرسة للطب في دمشق التي افتتحت للدراسة رسمياً عام ١٩٠٣، ومدة الدراسة فيها ست سنوات والتدريس باللغة التركية، والحقت بالمدرسة الطبية مدرسة للصيدلة (١).

وفي اوائل القرن العشرين زاد عدد المتعلمين وارتفعت نسبتهم إلى (١٠%) بعد أن كانت (٢%) في منتصف القرن التاسع عشر (٢). ففي سنة (١٩١١) تأسست جمعية المعارف العثمانية في دمشق وعلنت برنامجها في (٣٣) مادة كانت غايتها المدارس، واللقاء الدروس الليلية في القرى والقصبات وكان من برنامجها عدم الخوض في السياسة وهدفها الذي تسعى لتحقيقه هو بذل الجهد في نشر المعارف وتعميمها (٣).

وفي متصرفية القدس الشريف ودير الزور ظهر الاهتمام بشكل كبير في نشر التعليم الحديث من أجل الوقوف بوجه توسع مدارس البعثات التبشيرية، فبلغ عدد المدارس الحديثة في مدن وقرى متصرفية القدس الشريف (٣٥٠) مدرسة ابتدائية للبنين ومدرستين للبنات وأربع مدارس رشدية ومدرسة اعدادية، ودار للمعلمين، أما دير الزور فأنشأ فيها (٤٨) مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة رشدية للبنين ودار للمعلمين (٤).

(١) يوسف حكيم، سوريا في العهد العثماني، بيروت، ١٩٦١، ص ٥٩.

(٢) زاهية قدوة، تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٩٢.

(٣) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٤) عبد العزيز محمد عوض، متصرفية القدس اواخر العهد العثماني، مجلة شؤون فلسطينية، العدد الرابع، ايلول، ١٩٧١، ص ٣٧.

ومما يجدر الإشارة إليه أن القدس كانت أبرز المدن الفلسطينية التي انتشرت فيها المدارس الرسمية والاهلية والاجنبية انتشاراً كبيراً^(١). أما بالنسبة لمتصرفية جبل لبنان^(*) والتي كانت تحظى باستقلال ذاتي عن الدولة العثمانية فقد امتازت بظهور نهضة ثقافية واسعة بسبب استقلالها الذاتي وصلاتها الاوربية^(٢). ففي عهد المتصرفية وصلت النهضة الأدبية والعلمية في لبنان أوج عزّها فكثرت المعاهد الأجنبية والوطنية ورجال الادب والعلم^(٣)، وكان ذلك بسبب الدعم الذي حظى به التعليم من قبل رجال الدين الموازنة وتتافس البعثات المسيحية التبشيرية^(٤).

(١) شاکر النابلسي، المصدر السابق، ص ٤٢٨.

(*) اندلعت نزاعات اهلية بين سكان مقاطعات جبل لبنان والتي بلغت ذروتها عام (١٨٦٠) وكانت هذه النزاعات بين الدروز ذوي النفوذ السياسي والاقتصادي والمسيحيون الموارنة الذين اصبحوا قوة سياسية منذ اعتناق الامير بشير الشهابي مذهبهم الماروني الكاثوليكي، فحدثت عدّة مذابح مما أدى إلى تدخل الدول الاوربية الكبرى فرنسا وبروسيا وبريطانيا وبروسيا والنمسا) وألّفت لجنة دولية عقب اجتماعها في بيروت في ثم في القسطنطينية وتوصلوا إلى اتفاق تم تصديقه ببروتوكول التاسع من حزيران عام ١٨٦١ تقرر فيه أن تتمتع متصرفية جبل لبنان بالاستقلال الذاتي بمقاطعاته السبع وتحت رعاية الدولة العثمانية برئاسة متصرف مسيحي، وظل هذا النظام ساري المفعول في لبنان لغاية بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤. للمزيد من التفاصيل أنظر: جواد بولس، المصدر السابق، ص ص٣٨٨-٣٩٣؛ عمر ابو نصر، سوريا ولبنان في القرن التاسع عشر، ط١، بيروت، ١٩٢٦، ص ص٦٨-٧٤.

(٢) كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ط٣، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٦٠.

(٣) لجنة اساتذة المدرسة البوليسية، تاريخ لبنان، ج٤، المطبعة البوليسية، لبنان، ١٩٤٨، ص ١١٠.

(٤) مصطفى الخالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٢، بيروت، ١٩٥٧، ص ٨٠.

وخلال عهد المتصرفية ولي الحكم ثمانية متصرفين. وقد أنشأ في عهد المتصرفية عدّة مدارس حكومية في عهد داوود باشا تم بناء وتنظيم مدرسة للدروز في عبيّة، لا تزال تدعى بأسم المدرسة ((لدا أو دية)) وعدة مدارس مجانية^(١) منها مدرستا دير القمر والشحيم في الشوف، أما فرانكو باشا فقد أنشأ عدة مدارس للبنين والبنات منها مدرسة المحمودية والمدرسة العثمانية ومنهل الادب للبنين وروضة الخواطر والاحسان الشاهاني للبنات^(٢)، كما ارسل بعضاً من الشبان إلى اوربا لاتمام دروسهم العالية فيها^(٣).

وعمل رستم باشا إلى بناء العديد من المدارس في قرى المتصرفية إلا انه في اخر ايام حكمه اقل المدارس الحكومية في لبنان انتقاماً من شعبه^(٤). ومما يلاحظ أن ادارة المعارف في ولايات الشام كانت تخصص لدراسة اللغة الفرنسية ساعات اكثر مما تخصص لدراسة اللغة العربية في المناهج الدراسية ولاسيما في بيروت، ومتصرفية جبل لبنان وذلك بسبب التأثير الفرنسي، وكان كل من يتكلم بغير اللغة الفرنسية يُغرم غرامة نقدية، فضلاً عن العقوبة البدنية، وبذلك اصبحت اللغة الفرنسية اكثر اللغات انتشاراً بين المثقفين في جميع

(١) لجنة اساتذة المدرسة البوليسية، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٢) اسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٤٤.

(٣) لجنة اساتذة المدرسة البوليسية، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١-١٩١٤

انحاء الدولة العثمانية، وذلك نتيجة الامتيازات التي تتمتع بها فرنسا في الدولة العثمانية (١).

وخلاصة الامر أن اهم مظهر حضاري وثقافي في بلاد الشام في القرن التاسع عشر هو الزيادة الكبيرة في عدد المدارس ونوعيتها.

المحور الثالث/

دور الارساليات التبشيرية بنشر التعليم في بلاد الشام حتى عام ١٩١٤

كانت الدول الاوربية قد بدأت الأهتمام بالتبشير منذ انتهاء الحروب الصليبية، إذ شعرت أن استرجاع الاماكن المقدسة لن يتم بالحرب بل باقناع المسلمين للايمان بالمسيحية واجتذابهم إلى المسيحية بالطرق السلمية، وكان (ريموند لل) و(فرنسس الاليسي) و(وليم الطرابلسي) من دعاة هذه الفكرة، وعلى اساسها قامت الارساليات الكاثوليكية - الكرمليين والفرنسيسكان والدومينكان، وبدأت هذه الارساليات تغد إلى لبنان منذ القرن الثالث عشر ثم لحقتها الارساليات الجزويتية والقدسي يوسف والغزير (٢).

ومن الملاحظ أن انتشار البعثات التبشيرية الاجنبية في بلاد الشام يعود إلى مطلع القرن السابع عشر، ولكن مجال جهودها كان محدوداً، يقتصر على

(١) ألبر اورطايلي، الخلافة العثمانية التحديث والحداثة في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد القادر عبدلي، ط١، لبنان، ٢٠٠٧، ص ٣١٩؛ بييرفوسيل، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤، ترجمة أكرم فاضل، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٠.

(٢) أنيس صايغ، لبنان الطائفي، دار الصراع الفكري، د.ت، ص ١٠٨.

انشاء عدد قليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة، ونشر كتب العبادات^(١)، فقد توجه الالباء اليسوعيون والعازريون إلى الديار الشامية وأنشأوا المدارس في دمشق وحلب ولبنان غير أن تعليمهم كان بالدرجة الاولى دينياً واستمر نشاطهم قرناً ونصف القرن وتوقف عام ١٧٧٣ حينما ألغى البابا جمعية اليسوعيين، وعهد بأديرتهم إلى الالباء العازرين^(٢). وكانت هذه البعثات كلها كاثوليكية، ومعظمها فرنسية، وتنسب إلى اليسوعيين أو الكبوشيين أو الكرمليين، وانحصر معظم جهودها في رعاية الطوائف المسيحية الموالية لكنيسة روما^(٣)، ثم دخلت البعثات البروتستانتية التبشيرية لبلاد الشام قبل الحكم المصري بقليل^(٤).

كانت المدارس الاجنبية ذات وضع مختلف من حيث قدرتها المالية الكبيرة وادارتها الحديثة، وطول باع اساتذتها والاداريين فيها ومناهجها وطبيعة المواد التي كانت تدرّسها وكانت تتبنى انظمة التعليم الاوربية ومناهجها، ومن حيث كثرة عددها واختلاف انتماءاتها. فاليسوعيون ((الجزويت)) يعدّون من أهم هذه الارساليات ومن أقدمها دخلوا حلب لأول مرة في العام ١٦٢٥، ثم اسسوا أديرة في دمشق في العام ١٦٤٣، وفي صيدا في العام ١٦٤٤، وفي طرابلس في العام

(١) جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٢) كمال اليازجي، رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث ١٨٠٠-١٩٠٠، ط١، لبنان، ١٩٦٢، ص ١٠٩.

(٣) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨.

(٤) محمد أنيس، المصدر السابق، ص ٢٦٦.

١٦٤٥، وفي القرن التاسع عشر نشطوا كثيراً وعادوا في العام ١٨٣١ ليعيدوا فتح مدارس مختلفة^(١).

جاء الفرنسيون بعد اليسوعيين في النشاط الثقافي، وهم الذين أسسوا مدارس الغرير في فرنسا في العام ١٧٢٤، ثم نقلوها إلى دمشق وبيروت وطرابلس، وفتحوا فروعاً لها في معظم المدن الفلسطينية المهمة كالقدس وحيفا والناصرية.

وفي العام ١٨٢٢ أقام المرسل الأمريكي بليني فسك (Fisk) مع زميله اسحق برد مدرسة في بيروت كانا يعلمان فيها اللغتين الانكليزية والاطالية^(٢).

ومما ساعد على اكمال النهضة التعليمية في بلاد الشام النشاط الذي مارسه الاجانب في مجال التعليم في ظل الادارة المصرية (١٨٣٢-١٨٤٠)^(٣)، وذلك من خلال سياسة التسامح التي اتبعها ابراهيم باشا اتجاه المسيحيين إذ سمح للارساليات التبشيرية المسيحية الاجنبية، بتأسيس مراكز ثابتة لها في لبنان واعطاها حرية كاملة للعمل فأشركهم في انتخابات مجلس الشورى وارسل عدد اخر من الشبان المسيحيين لتعلم الطب في مصر على حسابه^(٤).

(١) شاکر النابلسي، المصدر السابق، ص ٤٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٢.

(٣) صلاح احمد هريدي، المصدر السابق، ص ٤٩٠.

(٤) أنيس صايغ، المصدر السابق، ص ١٠٠-١٠٤.

فأسسوا المدارس ونعموا بالامتيازات في ظل سياسة التسامح المصرية وبطبيعة الحال فهناك أهداف غير الدينية والتعليمية وراء هذا الاقدام ومارست الطوائف مهمتها بحرية لتشجيع الادارة المصرية لها فأوجدت في دمشق مدرسة اولية لها للارثوذوكس اليونانيين الحقن بالكنيسة، ولها طابعها الديني والدراسة فيها تشمل القواعد الاولية والتاريخ الخاص باليونان قديماً وحديثاً، وعلى شاكلتها مدرسة في بيروت واخرى في القدس^(١).

وكانت نقطة انطلاق المبشرين بنشاطهم التبشيري من بيروت ومنها إلى باقي انحاء بلاد الشام، وكان اختيارهم كمركز لهم بسبب موقعها الساحلي وبعدها عن المنازعات حول المصالح الدينية المختلفة^(٢).

وتعد سنة ١٨٣٤ سنة تحول في النهضة التعليمية لبلاد الشام سواء من خلال ما قام به ابراهيم باشا من تطبيق برنامج واسع للتعليم الابتدائي للذكور على نمط النظام الذي أقره ابوه في مصر واعادة الالباء العازرين افتتاح كليتهم الخاصة بالذكور في عين طوره ((عنطورة)) كما قام ايلي سميث وزوجته بتأسيس مدرسة للاناث في بيروت في بناء خاص لها، فأدى هذا التحول إلى افتتاح مدارس كثيرة على غرارها^(٣).

(١) صلاح احمد هريدي، المصدر السابق، ص ص ٤٩٠-٤٩١.

(٢) نبيه أمين فارس، دور لبنان في تاريخ الثقافة، مجلة الابحاث، ج٢، السنة الثالثة عشر،

بيروت ١٩٦٠، ص٦٢؛ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٣) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص١٠٠.

ازداد نشاط المبشرين الامريكان بالناحية التعليمية في بلاد الشام في عهد الادارة المصرية وذلك بسبب تشجيع محمد علي الارساليات التبشيرية الامريكية، وجدير بالذكر أن ادارة محمد علي عملت على كسب ود ورضا الدول الاجنبية المسيحية في محاولة لطلب مساندها ضد الدولة العثمانية في نزاعه معها، فأهتم المبشرون الامريكيون بنشر التعليم الابتدائي في المدن والقرى الشابه وخصوصاً في القرى الجبلية المحرومة من التعليم (١).

ويعد عام (١٨٣٢) بداية التعليم الابتدائي الامريكي في الشام ففيه افتتحت مدرسة في المركز الرئيسي (بيروت) بدأت بتلميذتين، ومدرسة أخرى بالقرب من صيدا وثالثة تحت التجربة بالقرب من دير بلمونت بالقرب من طرابلس، وكان بها (١٠) اطفال، وفي عام ١٨٣٤ اصبح لدى الامريكيين ٦ مدارس (٢).

وفي القدس انشأت الارسالية الامريكية مدرسة للبنات في القدس سنة ١٨٣٥ تدرس فيها الانسة تلدين Tilden وكان عدد الطالبات فيها متذبذباً جداً، وكانت هذه المدرسة تضم فيها منذ بدايتها فتيات مسلمات؛ لان المسلمين لم يدخلوا ابناهم هذه المدرسة، لعدم رغبة المسلمين والمسيحيين أن يختلطوا معا في المدرسة، وفي عام ١٨٣٨ افتتحت مدرسة بنين في القدس، وهي مدرسة خيرية بدون أي نفقات (٣).

(١) عبد الرازق عبد الرازق عيسى، المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٢) عبد الرازق عبد الرازق عيسى، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

أما اليسوعيون فبعد عودتهم إلى الشام سنة ١٨٣١ قاموا بدور بارز في النشاط التعليمي فأسسوا مدارس التحقت بمؤسساتهم البنتيرية، وفي عام ١٨٣٩ انشأوا مدارس في بيروت^(١).

كان للسياسة المتفتحة التي تبنتها الادارة المصرية سبب في نقمة افراد المؤسسة الدينية على الحكم المصري وعلى ابراهيم باشا بالذات الذي كان متسامحا دينيا وفكريا وخاصة مع الاجانب والمسيحيين الشوام واليهود الشوام، وعندما وسع ابراهيم باشا في مجال التعليم الاجنبي في بلاد الشام وشجع فتح المدارس الاجنبية للفرنسيين والامريكيين على وجه الخصوص قلص بذلك من مكانة افراد المؤسسة الدينية (الاجتماعية والسياسية) التي كانوا يستمدونها من الاشراف على التعليم في البلاد اشرافا مباشرا، اضافة لذلك كان لظهور المدارس الاجنبية اثره الكبير في تشكيل شرائح اجتماعية جديدة تختلف في تفكير العلمي والسياسي والديني عما كان سائدا من قبل، مما زاد من سخط المؤسسة الدينية التي اعتبرت كثيرا من المناهج الدراسية الاجنبية مناهج تهدد العقيدة وتقود إلى الكفر^(٢)، ونجحت الدولة العثمانية متحالفة مع الدول الايوبية وبضغط من المؤسسة الدينية صاحبة المصلحة في الباب العالي في اخراج الجيش المصري من الشام، بعد حصار للسواحل، وبصفة خاصة بيروت، مما اضطر قوات ابراهيم باشا إلى الانسحاب من الشام، وبذلك عاد الحكم العثماني إلى الشام مرة اخرى^(٣).

(١) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٢) شاكرا النابلسي، المصدر السابق، ص ٤١٧-٤١٨.

(٣) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، المصدر السابق، ص ١٤؛ شاكرا النابلسي، المصدر السابق، ص ٤٢٠.

وهنا يمكن القول أن الادارة المصرية في بلاد الشام حققت مرحلة جديدة وجسراً ثقافياً للعبور إلى اوربا والوصل معها وبالتالي بزوغ فجر النهضة في بلاد الشام.

كانت الدولة العثمانية من الضعف منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر إذ كانت اوربا بدولها المختلفة تقف في وجه الدولة العثمانية وتحرص على اخراجها من اوربا الشرقية واقتطاع اجزائها فأحدثت كلمة دول اوربا على هذا الهدف رغم التنافس والاختلافات القوية فيما بينها، فظهرت محاولات عدة من اجل اصلاح انظمتها ومؤسساتها الادارية.

بدا سلاطين الدولة العثمانية بالاصلاح في محاولة للنهوض في وجه التيار الاوربي، فاقدم السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١) بالعمل على ما عرف بالتنظيمات الخيرية^(١).

فقد رأى السلطان العثماني عبد المجيد المستوى الكبير الذي بلغته الاوربية على المستويات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية، فاراد أن ينظم برنامجاً لاصلاح الاوضاع الداخلية، حتى يجاري باقي الدول الاوربية في التحديث والعمران، فصدر في عام ١٨٣٩ تحت اسم فرمان (الكلخانة) يشخص فيه احوال الدولة العثمانية واسباب ترديها والمقترحات التي اقراها لمواجهة حالة التردّي^(٢).

(١) عبد الرازق عبد الرازق عيسى، المصدر السابق، ص ١٤-١٥.

(٢) وديع ابو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط ١، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص ٢٥١.

ويعد خط شريف كلخانة مرحلة هامة من مراحل التحديث التي شهدته الدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر (١).

وقد عدّ بعض الاوربيين فرمان كلخانة كالعهد الاعظم بالنسبة إلى العثمانيين، ويرى بعض المؤرخين أن الهدف من هذه التنظيمات هو حرمان الدول الاوربية من نرائع فرض حمايتها على المسيحيين من رعايا السلطان العثماني (٢).

وكان ابرز ما نص عليه مرسوم كلخانة احترام الحريات العامة ومساواة الجميع امام القانون بغض النظر عن الدين ومنح الحريات الدينية الكاملة، واعطى لغير المسلمين الاحقية في ترميم كنائسهم ومعابدهم ومقابرهم، وحذف الالفاظ والتميزات التي كانت تستخدم في الكتابات الرسمية وتميز بين اصناف الناس لاختلاف ديانتهم (٣).

أما الخط الهمايوني فقد صدر في ١٨ فبراير ١٨٥٦ (٤)، وقد تكررت فيه الضمانات التي أعلنت في عام ١٨٣٩ الواردة في خط كلخانة بصدد الغاء نظام الالتزام والقضاء على الرشوة والفساد، كما اكد من جديد على تطبيق الخدمة

(١) احمد عبد الرحيم مصطفى، اصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٠١-٢٠٢.

(٣) للاطلاع على نص مرسوم كلخانة انظر: محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧، ص ص ٢٥٤-٢٥٦.

(٤) احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

العسكرية على المسلمين وغير المسلمين، وان تكن ثمة اختلافات فخط همايون كان اكثر دقة في تحديد التغييرات الواجب اجراءها، كم أن صيغته كانت اكثر عصرية واكثر اقتباسا من الغرب، وكان من ضمن ما نص عليه هو المحافظة على الحقوق والامتيازات التي تمتع بها رؤساء الملل غير الاسلامية، كما قضى بالا تبقى المسائل المدنية الخاصة برعايا الدولة المسيحية من اختصاص رجال الدين وحدهم، بل جعلها من اختصاص مجلس مختلط من الاهالي، ورجال الدين المسيح يقوم الشعب بانتخابه بنفسه، وفتحت بذلك ابواب معاهد التعليم الرسمية، وبالتالي وظائف الدولة المدنية امام المسيحيين^(١).

كان من نتائج هذين الخطين في بلاد الشام المعروفة بتعدد الطائفي والديني أن اعطت الحق بجميع الامور المتعلقة بالاملاك والكنائس والاديرة، وشؤون المدارس، والمؤسسات الخيرية في ايدي رؤسائهم الروحانيين ومجالسهم الملوية^(٢).

ومن هنا ظهرت شبكة من المدارس والكليات امتدت إلى جميع انحاء بلاد الشام، ولم تعد مقصورة على ما كانت تنشئه فرنسا وامريكا وبريطانيا، بل دخلت الميدان البعثات التبشيرية الروسية والايطالية والالمانية، فكانت الحكومة الفرنسية بحرصها على تقوية نفوذها، تقدم العون المالي إلى البعثات التبشيرية الفرنسية وتعاونت هذه البعثات مع رجال الدين من الموارنة والملكانيين، وبذلت جميعها

(١) احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٢١١.

(٢) عبد الرازق عبد الرازق عيسى، المصدر السابق، ص ١٥-١٦.

جهداً لتعليم الشباب الناشئ تعليماً يرمي إلى تكوين عقولهم على النمط الفرنسي، وتوجيه انظارهم وولائهم الفكري إلى فرنسا^(١).
أما الروس فكانت لهم بعثة تبشيرية وجمعية للتربية والتعليم ذات مال وافر، وعن طريقهما كانوا يعلمون السكان العرب الارثوذكس والبطركتيين الارثوذكس في انطاكية والقدس، وكانوا يرمون إلى الغايات الخفية نفسها^(٢).
كما اقتصر اهتمام ايطاليا على ارسال البعثات الدينية وتأسيس المدارس الطائفية وكانت ارسالياتها التبشيرية ضعيفة، ولم تكن الحكومة تدعمها مالياً ومعنوياً وسياسياً مثل حكومة فرنسا^(٣).
وانشا البروتستانت في حلب مدرستين اولهما سنة ١٨٤٨ والاخرى سنة ١٨٥٢ وكان الراهبات ماريوسف حوالي ١٨٨٢ ثلاث مدارس تحوي ثلاثمائة تلميذة، وحوالي عام ١٨٩٨ انشا الروم الكاثوليك مدرسة في حلب وكان لهم فيها من قبل ذلك ثلاث مدارس^(٤).
ومن اهم المدارس الامريكية التي افتتحت في بلاد الشام مدرسة للاطفال في حاصبيا في ٢٠ ايار عام ١٨٤٥ بدأت بثلاثين طفلاً، ثم ازدادت لاكثر من اربعين طفلاً^(٥).

(١) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ص١٦٤-١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٥.

(٣) انيس صائغ، المصدر السابق، ص١١٠.

(٤) عائشة الدباغ، المصدر السابق، ص١٠٠.

(٥) عبد الرازق عبد الرازق عيسى، المصدر السابق، ص ص١٥-١٦.

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
 النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١ - ١٩١٤

ومن خلال الجداول التالية يمكننا تتبع تاريخ انشاء واغلاق وشراء المدارس
 التابعة للرسالية الامريكية في الشام ابتداء من عام ١٨٥٤ حتى عام ١٩٠٦.

جدول (١) ولاية سوريا

سنجق	قضاء	المكان	تاريخ التأسيس	مدارس افتتحت	اغلقت مؤقتا	تم شراؤها ملكية خاصة
	حاصبيا	حاصبيا	١٨٤٤	١		١٨٥٤
		الكفر	١٨٥٧	١		
		راشيا	١٨٥١	١		١٦٥
		شبيعة	١٨٥٧	١	غ.م	
	بعلبك	بعلبك	١٨٧٤	١		١٨٤٤
		بيت شاما	١٨٦٨		غ.م	
		دير الغزال	١٨٦١	١		١٨٨٠
		الحدث	١٨٨٢		غ.م	
		حوش بردى	١٨٩٠	١		
		كفر زيد	١٨٦١	١		
		قوسايا	١٨٧٣		غ.م	
		راس بعلبك	١٨٨٤	١	غ.م	١٨٩٢
		شليقة	١٨٧٨	١		
		طلبا	١٨٦١	٢		
		البقاع	عيننت	١٨٦٨	١	
	الفرزل		١٨٦٨		غ.م	
	الجديدة		١٨٧٠	٢		١٨٧٧

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
 النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١ - ١٩١٤

سنجق	قضاء	المكان	تاريخ التأسيس	مدارس افتتحت	اغلقت مؤقتا	تم شراؤها ملكية خاصة
		الحرية	١٨٧٥	٢	غ.م	
		مشغرة	١٨٦٩	٢		١٨٨٤
		معلقة	١٨٦٨	١		١٨٧٧
		قلب الياس	١٨٧٢	٢		١٨٨٨
		الفرعون	١٨٧٠	٢		
		سفبين	١٨٧٠	١		١٨٧٣
حوارة	قنيطرة	عين فتنة بانياس	١٨٥٨	١		١٨٨٠
		مجدل شمس	١٨٥٨	٢		١٨٧٣
		حماة	١٨٧٤	٢		١٨٨٤-١٩٠٢
		محرورة	١٨٧٠	١		
		حمص	١٨٥٩	٤		١٨٧٠
		فيروزة	١٨٩٣	١		١٨٩٨
		ام دولاب	١٨٩٤	١		

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١ - ١٩١٤

جدول (٢) ولاية بيروت

سنجق	قضاء	المكان	تاريخ التأسيس	مدارس افتتحت	اغلقت مؤقتا	تم شراؤها ملكية خاصة
		بيروت	١٨٤٥	٢		١٨٢٦ ١٨٦٦
	الجديدة مرج عيون	الجديدة دير المماس ايل السقي الحرية الخيم	١٨٥١ ١٨٦١ ١٨٥٢ ١٨٦٤ ١٨٥٢	٢ ١ ٤ ٢ ١		١٨٢٦ ١٨٦٦ ١٨٧٣ ١٨٦٤ ١٨٦٦
	صيدا	صيدا عبرا علما قانا دبل	١٨٥٢ ١٨٦٦ ١٨٥٠ ١٨٥٠ ١٨٨٠	٦ ١ ١ ١	غ.م	١٨٥٨ ١٨٦٤
طرابلس		البصة طرابلس المينا	١٨٨٠ ١٨٥٤ ١٨٥٤	١ ٢ ١	غ.م	١٨٧٦ ١٨٨٦
	الحصن	عمار الحرية حب نمرة مرمريتا مقعبرة	١٨٧٩ ١٨٧٢	١	غ.م غ.م غ.م	١٩٠١

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
 النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١ - ١٩١٤

سنجق	قضاء	المكان	تاريخ التأسيس	مدارس افتتحت	اغلقت مؤقتا	تم شراؤها ملكية خاصة
		بيتو	١٨٦٦			
		منايرة	١٨٨٨	١	غ.م	١٨٨٣
	عكار	الشيخ محمد	١٨٦٩	١	غ.م	١٨٨٨
		جبرائيل		١		١٨٨٠
		رحبة				
		اليزيدية	١٨٩٨	١		١٩٠٠
		مشتا الحلو				
	صافيتا	برج صافيتا	١٨٦٤	٢	غ.م	
		بيت شباط	١٨٩٢	١		١٨٨٠

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
 النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١ - ١٩١٤

جدول (٣) متصرفية لبنان (*)

تم شراؤها ملكية خاصة	اغلقت مؤقتا	مدارس افتتحت	تاريخ التأسيس	المكان	قضاء	سنجق
١٨٨٢	غ.م. غ.م.	١	١٨٥٨ ١٨٨٩ ١٨٩٠	غروز المنصف شيخان	غزير	
	غ.م.	١ ٢	١٨٧٠ ١٨٦٧ ١٨٩٠ ١٨٧٤ ١٨٧٨	كسبا بشمزين كفر حزير بقرام انفة	الكورة	
	غ.م. غ.م. غ.م.		١٨٨١ ١٩٠٢ ١٨٦٧	بترون كروم صدي دوما	بترون	
١٩٠٣	غ.م.	١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١	١٨٨١ ١٨٨١ ١٨٨٢ ١٨٥٦ ١٨٨٠ ١٨٧٠ ١٩٠٥ ١٨٨٤ ١٨٨٠	جزين دوم مغدوشة برتا ميه وميه الصالحية قبتولة قرية كفر جرا	جزين	

(*) The Borad of foreign mission of presbyterian church in the U.S.A., pp. 7-9.

نقلًا عن عبد الرازق عبد الرازق عيسى، المصدر السابق، ص ١٣٣-١٣٦.

وانشأت الارسالية الامريكية مدرسة في بيت لحم وكان يدرس بها مدرس بروتستاني وتضم حوالي ٢٠ تلميذا، وفي عام ١٨٨٩ انشأت مدرسة الفرندز للبنات في رام الله وتلاها انشاء مدرسة الفرندز للبنين في رام الله أيضاً عام ١٨٩١، واقتصرتا على قبول الطلبة العرب من المسيحيين والمسلمين كما ظل التعليم الابتدائي الامريكي في القدس ورام الله وبيت لحم مقتصرًا على التعليم الابتدائي دون التعليم العالي أو الثانوي (١).

استمر انشاء مدارس الارساليات التبشيرية في كافة انحاء بلاد الشام، وكانت القفزة التعليمية التي ميزت القرن التاسع عشر عن بقية العهود في بلاد الشام، عندما تحقق بناء معاهد التعليم العالي العلمي الوضعي لأول مرة في تاريخ العالم العربي والذي تم على يد المرسلين الاوربيين فانشئت اول جامعة علمية في العالم العربي في بيروت عام ١٨٦٦ متمثلة في الكلية السورية الانكليزية التي اسسها القس الامريكي الدكتور دانيال بلس Bliss (١٨٢٣-١٩٠٢) الذي قدم إلى بيروت في العام ١٨٥٦ واقام هذه الكلية مع المرسلين الامريكيين والارمن (٢).

كما ساهم العلماء الشوام في القرن التاسع عشر في تدريس بعض المواد في هذه الكلية التي تحولت فيما عرف بالجامعة الامريكية، وكان اسعد الشدودي (١٨٤٢-١٩٠٦) اللبناني كواحد من اقدم اساتذتها بتدريس الرياضيات والعلوم

(١) عبد الرازق عبد الرازق عيسى، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٢) شاكر النابلسي، المصدر السابق، ص ٤٢٤.

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
نهضة التعليم في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١-١٩١٤

الطبيعية فيها، ثم أنشئت الكلية اليسوعية في العام ١٨٧٤ التي تحولت إلى جامعة فيما بعد، وكانت هاتان الجامعتان أول من درس في العالم العربي كله العلوم والطب والتجارة والهندسة والحقوق والفلسفة وعلم الكلام والاداب الشرقية واللغات الاجنبية^(١).

كما كان لليهود في فلسطين في القرن التاسع عشر سجل تعليمي مميز خدم كثيرا هدفهم السياسي المستقبلي في فلسطين، فكان لليهود في فلسطين مدارس كثيرة ليس لسواهم من الاديان الاخرى، وكانت هذه المدارس تعلم العلوم الحديثة والتراث القديم كالتوراة والتلمود، ولهم في القدس مدرستهم المتميزة الاليانس Alliance التي تم افتتاحها في العام ١٨٨٠ كفرع للمدرسة اليهودية في باريس، ومدرسة بيت سالييل ومدرسة لاميل ومدرسة تل ابيب في يافا^(٢).

وهنا لابد من الاشارة إلى انه وبالرغم من الدور السلبي للرساليات التبشيرية كونها تسعى لغرس مبادئ بعيدة عن قيم ومبادئ المجتمعات الاسلامية والعربية ولانها تعبر عن الغزو الفكري إلا انها كانت ذات اهمية كبيرة وخاصة في مجال التعليم الذي نال القسط الكبير من اهتمامها، ولها يعود الفضل في تطور التعليم في بلاد الشام وقيام نهضة فكرية وثقافية فيها كونها فتحت مجالات التعليم امام ابناء بلاد الشام.

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) شاكر النابلسي، المصدر السابق، ص ٤٣١.

الخاتمة

تعد الفترة الواقعة ما بين ١٩٣١ - ١٩١٤ بداية لبزوغ تباشير فجر النهضة التعليمية في بلاد الشام من خلال ما شهدته تلك المنطقة من احداث سياسية وكذلك للخصوصية التي تمتعت بها بسبب سعة مساحتها من جهة وتنوع الطوائف الموجودة فيها من جهة اخرى، وكما اسست حملة نابليون نهضة ثقافية في مصر، كذلك كان الامر بالنسبة للحملة المصرية لابراهيم باشا على بلاد الشام، إذ كان له الدور الهام في مسيرة التعليم بتلك المنطقة لما كان يحمل معه من افكار فرنسية عمل على تطبيقها على مستوى التعليم، ورحل عن بلاد الشام عقب انتهاء الحملة مخلفا وراءه بذور الاشعاع الثقافي الاوربي.

ومما يمكن ملاحظته بانه رغم المشاكل التي واجهت الادارة المصرية في بلاد الشام إلا أن الفضل يرجع لها في نهضة البلاد العلمية فهي التي نبهت السكان والحكام إلى ضرورة التعليم، وبدى ذلك واضحا بعد انتهاء الحكم المصري، إذ اخذت الدولة العثمانية على عاتقها مسؤولية التعليم والاهتمام به خاصة وان الادارة المصرية ركزت جل اهتمامها على تهيئة كوادر ادارية وعسكرية، مما حفز الدولة العثمانية على اعداد كوادر مماثلة اضافة إلى اهتمامها بالتعليم بصورة عامة وبشكل افضل من السابق من خلال اصدارها عدة قوانين تصب في خدمة التعليم فجعلته اكثر تنظيما من السابق.

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١ - ١٩١٤

اما الإرساليات التبشيرية الاجنبية فقد كان لها الاثر البالغ في رقد الحركة التعليمية من خلال تاسيس مدارس متعددة، الفرنسية والامريكية على وجه الخصوص، التي سدت فراغا تعليميا كبيرا، فظهرت شرائح اجتماعية جديدة في المجتمعات الشامية تختلف في تفكيرها السياسي والديني عما كان سائدا من قبل، رغم كوننا لا يمكن أن ننكر أن التنصير في اصله حركة دينية، سياسية، استعمارية تهدف لنشر النصرانية بين الامم المتخلفة في دول العالم الثالث واحكام السيطرة عليها يساعدهم بذلك انتشار الفقر والجهل في معظم بلدان العالم الاسلامي.

المصادر

- الوثائق المنشورة:

- ١- أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية (بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي باشا الكبير، مج ٢، المطبعة الامريكية، بيروت، ١٩٤٣.

- الرسائل الجامعية:

- ٢- بشرى ناصر هاشم الساعدي، الادارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣.

- الكتب العربية والمعربة:

- ٣- أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨.
- ٤- اسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، بيروت، ١٩٧٣.
- ٥- احمد عبد الرحيم مصطفى، اصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٦- أنيس صايغ، لبنان الطائفي، دار الصراع الفكري، د. ت.
- ٧- ألبر اورطايلى، الخلافة العثمانية التحديث والحداثة في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد القادر عبدلي، ط ١، لبنان، ٢٠٠٧.
- ٨- ببير فوسيل، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤، ترجمة أكرم فاضل، بغداد، ١٩٦٨.

- ٩- جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، ط٢، مؤسسة بدران وشركاءه، بيروت، ١٩٧٣.
- ١٠- جميل صليبا، محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب العربي، القاهرة، ١٩٥٨.
- ١١- جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢.
- ١٢- زاهية قدوة، تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٣- زياد ابو غنيمه، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٣.
- ١٤- ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ١٩٥٠ / ١٩٥١.
- ١٥- شاکر النابلسي، عصر التكايا والرعايا وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٨)، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩.
- ١٦- صلاح احمد هريدي، دراسات في تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠٠٨.
- ١٧- طلال العتريسي، البعثات اليسوعية مهمة اعداد النخبة السياسية في لبنان دراسة وثائقية، ط١، ١٩٨٧.
- ١٨- عائشة الدباغ، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢.

- ١٩- عبد الرازق عبد الرازق عيسى، التصدير الأمريكي في بلاد الشام ١٨٣٤-١٩١٤، ط١، مكتبة مدبولي، مصر، ٢٠٠٥.
- ٢٠- عبد العزيز محمد عوض، الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤-١٩١٤، دار المعارف، مصر.
- ٢١- عبد الكريم محمود غرابية، تاريخ العرب الحديث، مطبعة الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤.
- ٢٢- عبد الكريم محمود غرابية، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦، دار الجيل للطباعة، مصر، ١٩٦١.
- ٢٣- كمال اليازجي، رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث ١٨٠٠-١٩٠٠، ط١، لبنان، ١٩٦٢.
- ٢٤- كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ط٣، بيروت، ١٩٧٢.
- ٢٥- لجنة اساتذة المدرسة البوليسية، تاريخ لبنان، ج٤، المطبعة البوليسية، لبنان، ١٩٤٨.
- ٢٦- ليلي الصباغ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣.
- ٢٧- محمد أنيس، تاريخ الدولة العثمانية في المشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د. ت.
- ٢٨- محمد بدیع شریف وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، جامعة الدول العربية، الادارة الثقافية، مصر، د. ت.
- ٢٩- محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧.

- ٣٠- مصطفى الخالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٢، بيروت، ١٩٥٧.
- ٣١- وديع ابو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط١، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣.
- ٣٢- يوسف الحكيم، سوريا في العهد العثماني، بيروت، ١٩٦١.
- ٣٣- يوسف جميل نعيصة، مجتمع مدينة دمشق (١٧٧٢-١٨٤٠)، ج٢، ط١، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٦.
- البحوث والدراسات المنشورة:
- ٣٤- أمين عبد الله محمود، الإدارة المصرية في بلاد الشام وبداية ظهور المسألة الفلسطينية (١٨٣١-١٨٤٠)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٣٢، الكويت، ١٩٨٨.
- ٣٥- بشرى ناصر هاشم الساعدي، جبل لبنان في عهد الامير بشير الشهابي الثاني الكبير (١٧٨٨-١٨٤٠)، مجلة الدراسات التاريخية، الجامعة المستنصرية، العدد ٨، ٢٠١٠.
- ٣٦- عبد العزيز محمد عوض، متصرفية القدس اواخر العهد العثماني، مجلة شؤون فلسطينية، العدد الرابع، ايلول، ١٩٧١.
- ٣٧- علي شاکر علي، المشروع النهضوي العربي والغرب تجربة محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٠) مجلة آفاق عربية، العدد التاسع، السنة ١٨، بغداد، ١٩٩٣.

المدرس المساعد آراء جميل صالح العكيلي
النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣١ - ١٩١٤

٣٨- نبيه أمين فارس، دور لبنان في تاريخ الثقافة، مجلة الابحاث، ج٢،
السنة الثالثة عشر، بيروت ١٩٦٠.

- الموسوعات:

- ٣٩- سيف الدين الكاتب، اطلس تاريخ الحضارات، ج٣، ط٣، دار الشرق
العربي، ٢٠٠٩.
- ٤٠- ناصر الانصاري، موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم مع
صورهم ورموزهم، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.